

تعزيات

القمص يوسف أسعد

ترقية



هل رأيت نعش أحد أقاربك يدخل إلى الكنيسة محمولاً فيوضع أمام باب الهيكل على ترابيزة مرتفعة ترتفع فوق مستوى كل الجالسين في الكنيسة؟ ...

هل فهمت المقصود من ذلك؟! ... إن قريك هذا الذي بداخل النعش، قد نال ترقية! ترقية من السماء، من فوق. ولذلك قيل «الذي من فوق هو فوق الجميع» (يو: ٣١: ٣١).

لقد رقاها الله إلى علاه، فعوضاً عن الأرض صارت السماء نصيبه، وعوضاً عن الجسد الضعيف الكثيف... صار الروح الخفيف له، وعوضاً عن الوجع والدموع... صارت الراحة والفرح ميراثه... من منا له مثل نصيب هذا الذي رأيت في نعش، نحن الذين نظن أننا في الحياة لأننا مازلنا نتحرك بإرادتنا... بينما نصيبه هناك لا يقارن بنصيبنا هنا. فإن كانت الحياة هنا حلوة، لكن الحياة هناك أحلى ...

الكتاب: تعزيات

المؤلف: القمص يوسف أسعد

الطبعة: الأولى: مايو ١٩٨٢

الثانية: فبراير ١٩٨٨

الثالثة: يناير ١٩٩٥

الرابعة: سبتمبر ٢٠٠٠

الخامسة: سبتمبر ٢٠٠٩

المطبعة: دار العالم العربي - الظاهر - القاهرة

إصدار: أبناء القمص يوسف أسعد

ص. ب. ٢١٢ الجيزة

رقم الايداع: ١٩٨٢/٣١٦٣



الميكيل مزدحم يا ابني

بدأ الأب الكاهن القديس الإلهي ، واستمر في الصلاة حتى صلاة مجمع القديسين ، وعندما قال « وبالأكثر القديسة الطاهرة مريم العذراء » وجد فتاة بلباس أبيض واقفة في وسط شرقية الميكيل في مواجهة المذبح ، وعندما قال : « والقديس إستفانوس ... » وجد شماساً بلباس المذبح الأبيض يقف بجوارها ... وهكذا عند ذكره لكل إسم من أسماء القديسين كان يجدد فرداً جديداً يحضر ويزيد عدد النوجودين منهم بالميكيل ، حتى اكتظ الميكيل بهم .

فشاور الأب الكاهن للشماس الواقف بجواره قائلاً : إفسح يا إبني قليلاً لأن الميكيل إمتلأ ولم إنته من المجمع بعد ! فاندش الشماس إذ نظر حوله فلم يرَ احد غيره بالميكيل ... فقال للكاهن ماذا تقصد يا أبني فالميكيل ليس به أحد !! ... تقطع الكاهن صلاته وقال له : الله يفتح عينيك يا إبني ، ساعتها إنفتحت فعلاً عين الشماس ورأى أعداداً عديدة من قديسين بشياب بيضاء وجميعهم وجوههم

والحياء هنا رسالة ، لكن الحياة هناك كمال الرسالة ... والحياة هنا زراعة دموع ، لكن الحياة هناك حصاد إبتهاج ... لقد قلت لك يا عزيزي : أنه قد نال ترقية ...

والذي يأخذ ترقية أو علاوة يندبون عليه ، و يصوتون عليه ، ويمحزونون عليه أم يهنأون له ، و يقدمون الهدايا !؟ ... على الأقل لا ينفعلون إنفعلاً ردياً ولا يمخزونون كالذين لا رجاء لهم ...

لعل لسبب هذه الترقية قال الوحي الإلهي على لسان أرميا النبي « لا تبكوا ميتاً ولا تندبوه » (أر ٢٢: ١٠) .

قدتأم المسيح من الأموات

وصار بأكورة القديسين

ما قبل الغروب الجميل



ما أجل منظر الشمس قبيل الغروب ... إن حلاوة ألوانها المتداخلة وما تصنعه بأشعاعاتها على حافة البحر أو في حدود الرؤية بالصحراء يجعل كشيرين يترقبون ساعة الغروب ، ويتفرغون لكي يشبعوا بالجمال الإلهي والإبداع المطلق أو ليختزنوا لأنفسهم قوتاً من التأمل حول أعمال الله العظيمة ...

والإنسان عمل من أعمال الله العظيمة ، بل كل عمل صنعه الله في الخليقة كان يذكر: « ورأى الله أنه حسن » إلا عمل الإنسان عندما أتمه ذكر الوحي الإلهي : « ورأى الله أنه حسن جداً » (تك ١ : ٣١).

لذلك فالغروب في حياة الإنسان جميل جداً ، يعد الله الإنسان له ... فالله المحب يختار الإنسان للرحيل من العالم في أكمل فترات نهضته الروحية ونقاوته الباطنية وجهاداته القوية ... نعم إن الله

مضيئة ... فارتعب الشماس وانحنى إلى الأرض « آه يارب حقاً الهيكل مزدحم بالقدسين المنتصرين ، الذين يلتفون حولك وأنت قائم على المذبح ... أرواحهم تجتمع حول عرشك أيها الروح ... فن أنا لأقف هنا في هذا الموضع المقدس !! ...

من ساعتها وحتى سيامة هذا الشماس كاهناً لا يصل إلى صلاة المجمع وتجدده واقفاً بل منحنياً على ركبتيه متذكراً ما رآه أبوه وصلّى لكي يراه أيضاً ... وفي كل بيت يدخل هذا الكاهن يُذكر أفراده أن حول المذبح ، لا في المدافن ، تجتمع أرواح أولاد الله ... والإلتقاء بأحبائنا الراحلين يكون في رفع بخور باسمهم في صلاة المجمع بالقداس الإلهي ، وداخل بيعة الله ، لا في المقابر حيث تسكن عظامهم فقط .



ينتظر، و ينتظر على كل شجرة غير مشمرة و ينقب حولها وهو يقول :
« أتركها للسنة القادمة لعلها تصنع ثمرأ ... »

فالأواخر في حياة الإنسان ، حسباً رأينا وشهدنا في كثيرين من
الذين ربونا جسدياً وعلّمونا روحياً وأدبونا خلقياً ... كانت في جمال
الشمس لحظة غروبها وكانوا يعطون من الله معرفة اليوم والشهر
والسنة ، بل وأحياناً الساعة التي يرحلون فيها ... فالله لا يشاء موت
الخطيء مثلاً يرجع ومحيماً .

يا أخى العزيز مهما تكن حياتك الحالية ، صل كل يوم من أجل
أواخرك وقل : « إجعل يارب أواخري أكثر بركة من أوائل ، وأكثر
نقاوة ، وأكثر قرباً منك إجعل أواخري بيدك لتكن يا قدوس الله
مقدساً نفسى وجسدى وروحي ، وحاضراً عندى مع أمك العذراء ...
حاضراً عندى عند سكرات الموت ، وما قبل الموت وما بعد الموت ...
لكى أكون المخلوق الجميل الحسن جداً في عينيك ... لكى يكون لى
نصيياً فى ميراثك وميراث القديسين » .



صلاة الثالث

نحن نقيم صلاة الثالث للراجلين لتذكر أن سيدنا يسوع المسيح
قام من الأموات فى اليوم الثالث كما فى الكتب (١ كوه ١٥ : ٤) ...
فتذكر كار القيامة يعطى إنتعاشاً للإيمان الذى قد يضعف ، ويشوق
للأبدية والمجد للذى يريد التعلق بالبشر والبشريات ويؤكد أن صفة
الموت ليست هى الخاتمة فى الإنسان الذى عاش يقول « لأعرفه وقوة
قيامته ، وشركة آلامه متشبهاً بموته » (فى ٢ : ١٠) ...

ويحسب يوم الثالث عادة من يوم الرحيل ، فإذا كان قد تم
الرحيل قبل غروب الشمس يحسب اليوم كاملاً أيأ كانت ساعته ،
أما إذا تم الرحيل بعد الغروب فيحسب من اليوم التالى لثلاث أيام .
وفى صلاة الثالث يصلى الأب الكاهن على : ماء (فى دورق مياه) ،
وبقدونس أخضر (أو أى خضرة) فى طبق مجاور ، وعيش (أو طعام
من بيت الراحل) . أما الصلاة على الماء والبقدونس ، فلها جذور

إنجيلية وروحية عميقة... ففي الكتاب المقدس يذكر عن شعب الله مروره ببئر «مارة» التي وجدوا فيها الماء مرأً، فصرخ موسى النبي إلى الله عن الشعب... فقال له الرب أن يلقى في الماء عرش نخل أخضر كان مجاوراً للبئر، فلما ألقى موسى الخضرة في الماء المُرّة تحول الماء إلى عذب شرب منه الجميع وتعزوا في البرية. (راجع خر ١٥: ٢٢-٢٦).

والذين دخل الموت إلى بيوتهم اختبروا كيف يجف الحلق ويصبح الفم مرأً، وهذا ثابت علمياً. ولكي لا تظل مرارة الحلق مع مرارة الفراق الجسدى يطرح الأب الكاهن البقدونس الأخضر في الماء لكي يشربوا فيتعزوا... أما الطعام فهو مذكر للذين يبتدون عدم الأكل بعد رحيل أحد الأحباء كنوع من إعلان الحداد... داود النبي النبي قلبه كان صائماً أيام مرض ابنه، فلما قيل له أن غلامك مات قام عن مسحه وغسل وجهه وطلب طعاماً وأكل وقام من حزنه وقال: «أنا ذاهب إليه أما هو فلا يرجع إليّ» (٢ صم ١٢: ٢٣).



بطيخة مرة



كان لسليمان الحكيم عبد يسمى «لقمان»، استدعاه للمثول أمامه وبادره بالقول: «سأمرك أمراً هل تطيعه؟» فاستغرب العبد المشتري بالمال ورد للفور: «أنت السيد وأنا العبد، أمر وأنا أطيع» فأخذ سليمان بطيخة صغيرة كانت أمامه وأعطها لعبيده قائلاً: «كل هذه البطيخة المُرّة بشرط ألا يظهر على وجهك أي امتعاض أو تبسم». فأخذها لقمان من يد سليمان وأكلها، وفي أثناء مضغها إرتسمت إبتسامة عذبة على وجه لقمان، فإندهش سليمان من إبتسامته وقال له: هل البطيخة حلوة يا لقمان؟... فرد العبد: «لا ياسيدى إنها مرّة مرارة الصبر!»

فراجعه سليمان «ولماذا إذن تبتم؟» فأجاب العبد: «أبتسم لأنني تذكرت يد سيدى التي قدمت لى سابقاً حلواً كثيراً فنسيت المرة الوحيدة التي قدمت لى بطيخة مرّة... لما تذكرت، ضاعت مذاقة

المراة ، فابتسمت » .

هذا عبد لسليمان يا عزيزى ، أما أنا وأنت عبيد الله الحى الذى قال لنا : « لا أعود أسميكم عبيداً لأن العبد لا يعلم ما يعمل سيده . لكنى قد سميتكم أحبائى لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى » (يوه : ١٥ : ١٥) ... نحن أحبائى الله ، وإيماننا بحبته ليس أنه قادر على كل شىء ، ولا يعسر عليه شىء ، بل هو أن نقبل من يديه كل شىء مها كان مُراً .

وقبول المُرىحاج إلى تذكر ... تذكر يا عزيزى إحسانات الرب تنسى مرارتك ، ومرارة الأحداث التى من حولك ، فإن إحساناته لجديدة فى كل صباح ... تعلم أن تذكر خيرات الله فى وسط آلامك فتتعزى به ...

حَيِّ
هُوَ الرَّبُّ

الَّذِي
فَدَى نَفْسِي فِي
مِنْ كَلْبِيَّتِي

الفرس الأخضر



٦

فى سفر الرؤيا ، الإعلان الإلهى للكنيسة المجاهدة عن الحياة الأبدية وأجسادها ، لما فتح الخروف الختم الرابع يقول ماريوحنا عن رؤياه : « فنظرتُ وإذا فرس أخضر والجالس عليه إسمه الموت » (رؤ : ٦ : ٨) .

ما أجل هذا التشبيه السماوى للموت أن يجعل لون الفرس الذى يركبه أخضراً ، وهو رمز الحياة المستمرة التى تكسو الأرض السوداء بأروع فرس من السندس الأخضر المريح للنظر ، والمبشر بالخير !

نعم إن الموت فى منظار الأبدية راحة وصل إليها الأبطال المنتصرون « وقيل لهم أن يستريحوا زماناً أيضاً حتى يكمل العبيد رفقاًؤهم » (رؤ : ١١ : ١١) !

... نعم إن الموت فى منظار الأبدية بشرى الخير ، قيل عن الذين يصلون إليه « لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد ولا تقع عليهم الشمس



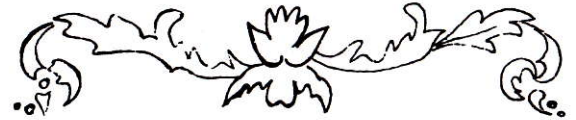
باب ضيق

من باب الرحم الضيق ولدنا جميعاً ، لم تر نور هذه الدنيا إلا بعد قضاء تسع شهور كاملة عشناها جميعاً في ظلام الرحم الأموى ، الذى كنا أحياء ساكنين يختم علينا باب الرحم الضيق بعناية ... وهكذا عندما نولد من جديد ، نولد الميلاد الحقيقى للأبدية بواسطة الموت لا بد لنا أن نقضى في ظلام القبر زماناً حتى نخرج من بابه الضيق ، كما خرجت قبلنا أموات من الجحيم لحظة الصليب المجيد ! ...

إن السمع إحدى الحواس الحية ، التى يتصف بها الأحياء . لكن ربنا يسوع قال « الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والذين يسمعون يحيون ... لا تتعجبوا من هذا فإنه ستأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا . الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة » (يوحنا : ٢٥-٢٩) .

عن رقاد موته . وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم . فقال لهم يسوع علانية : لعازر مات « (يوحنا : ١١-١٤) ، لقد فارقك ، لا لكى تصرع أنت بصدام الفراق ، لكن لكى تلتقى معه بعد أن تخلع ما خلعه من تراب الأرض ... لكى تلتقيان معاً فى جدة الحياة الأبدية التى قيل عن طبيعتها « الذئب والحمل يريان معاً ، والأسد يأكل التبن كالبقرة ... لا يؤذون ولا يهلكون فى كل جبل قدسى قال الرب » (أش : ٦٥ : ٢٥) .

إن فراق النوم لا يستوجب البكاء والنحيب والحزن الردى ، لذلك فالرب يسوع عندما دخل بيت واحد من دار رئيس المجمع « لم يدع أحداً يدخل إلا بطرس ويعقوب ويوحنا وأبا الصبية وأمها . وكان الجميع يبكون عليها ويلطمون . فقال لا تبكوا . لم تمت لكنها نائمة » (لوقا : ١٥) ... إن فراق النوم يقودك إلى أن تبكى على نفسك ، وعلى خطاياك وعلى أولادك ... لكى لا يأتى السارق ويجدك نائماً بل مستيقظاً مستعداً مُرحباً .





٩ أتوا من الضيقة العظيمة

سأل أحد الأربعة والعشرون قسيساً ما ريوحنا اللاهوتي :
... هؤلاء المتسربلون بالثياب البيض : من هم ؟ ومن أين أتوا ؟!
« فأجاب يوحنا : يا سيد أنت تعلم » ، فقال له القس « هؤلاء هم
الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيضوا ثيابهم في دم
الخروف » (رؤ ٧ : ١٣) .

لعلك تلاحظ أن الدم لونه قاني وهو يصبغ كل ما تلقى فيه بلونه
الأحمر ، لكن دم ابن الله غسل ثياب الذين أتوا من الضيقة العظيمة
حاملين أقدارهم وأتعايبهم ... غسل الميلاد الثاني بعمودية الماء
والروح ، فجعل الدم القاني ثيابهم أكثر نظافة وجمالاً ...

والباب الذى فتح إلى تبيض الثياب وغسلها كان بالدموع في
معمودية التوبة المستمرة والجهد المستمر حتى خرجوا من ميدان
الضيقة العظيمة : اغنى العالم . يا عزيزى : هل غسلت ثيابك بـ

وهذا يؤكد أن الإقامة في القبر معها حاسة السمع الذى للأحياء ،
وهذا يؤكد قول الرب : « أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب .
ليس الله إله أموات بل إله أحياء » (مت ٢٢ : ٣٢) .

كذلك فإن الأولوية التي ذكر الكتاب أنها ستكون في المجيء
الثاني معطاة للراقيدين على الإيمان تؤكد أنهم أحياء ، وإلا فكيف يتم
هذا السبق مع أحياء قديسين أيضاً ؟! ... يقول الكتاب :
« والأموات في المسيح يقومون أولاً ثم نحن الأحياء الباقين
سنخطف جميعاً معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء » (١ تس ٤ :
١٦ ، ١٧) . فكما تذوقنا اللبن والعسل وفي الحنان الأمومي
والإيمان النقي بعد اجتياز باب ضيق في الجسد وظلام تسع شهور ،
هكذا فإن اجتيازنا باب القبر بعد ظلامه زماناً سوف يمنحنا تذوق
الرب في الأبدية بل « كما هو مكتوب ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم
يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه » (١ كو ٢ : ٩) .

هذا ما سنراه ونتمتع به في الأبدية السعيدة مع الرب يسوع إن
كنا له أبناء حقيقيين بالقول والعمل معاً .

المعمودية؟ ... إن لم تكن للآن هلم إعترف بأن يسوع المسيح هو الله
الظاهر في الجسد: إبناً للإنسان وإبناً لله معاً .

وإجعل قلبك أى (أفكارك + ضميرك + عواطفك) تطلب ملكوته
الأبدى أولاً وقبل كل شىء . وتقدم إلى الكنيسة للتلمذة الروحية ،
وإنتظر العماد بإسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد . أما
إن كنت قد نلت المعمودية ، فتذكر ما الذى دُفع فيها من أجل نوال
نعمةها !! ... أذكر دم إبن الله دائماً الذى به اشتريت من عبودية
إبليس ، وأذكر أن قيمتك تساوى دم إبن الله الغالى . فإن كنت
دنست ثوبك المغسول فى الدم الثمين ، فتعالَ فى ثقة مواعيد ربنا يسوع
المسيح الذى قال « تعالوا إلّى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا
أريحكم » ، وألقِ عند قدميه ضعفك ، وأمام كاهنه اعترافك وأمام
مذبحه أشواقك للحياة الأبدية ... وخذ من فوق المذبح الجمرة المطهرة
- أى جسد الرب ودمه - لتخرج ثيابك المغسولة مبيضة أيضاً .

لا تتوان ، وأسرع الآن . لا بعد دقيقة .



وأسلم الروح

لم نسمع عن إنسان ، سكن الأرض وغادرها ، إلا بعبارة واحدة
تختم بها كل أعمال حياته هى « وأسلم الروح » ، فلأن الإنسان
مخلوق من جسد وروح ، فالجسد عند الرحيل يهدأ ويسكن وينحل
إلى أصله الأول . وهكذا الروح أيضاً تنطلق فى طريقها إلى مستقرها
الأول والأصيل . عند خالقها وموجدها .

هكذا نؤمن بقول الكتاب « فيرجع التراب إلى الأرض كما
كان ، وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها » (جا ١٢ : ٧) . قيل عن
أبينا إبراهيم « وأسلم إبراهيم روحه » (تك ٢٥ : ٨) ، وقيل عن أبنينا
يعقوب أب الأسباط « ضم رجلية إلى السرير وأسلم الروح »
(تك ٤٩ : ٣٣) ... وهكذا قيل أيضاً عن ربنا يسوع المسيح ، إذ هو إله
كامل وإنسان كامل ، ففى إنسانه الكامل كانت روحه مع جسده على
الصليب إلى أن أكمل الفداء ونكس الرأس فإنفصلت روح الإنسان
الكامل عن جسد الإنسان الكامل وهى التى قيل عنها « وأسلم

يومان



يومان في حياة الإنسان ليس له فيها إرادة، يوم الميلاد ويوم الوفاة. فلم نسمع إن إنساناً خيراً أن يولد أو أن لا يولد، أو خيراً أن يرحل أولاً يرحل. إنما هذان اليومان بالثواني والدقائق في يد الله وحده. فلا يوجد طفل ينزل إلى الأرض من بطن أمه قبل الميعاد الذي حدده الله له. ولا يرحل إنساناً من الدنيا قبل الميعاد الذي يحدده الله له ولا بثانية واحدة تسبقه أو تلحقه؛ فأيوب البار قال عن الإنسان: «أيامه محدودة، وعدد أشهره عندك (يارب) وقد عينت أجله فلا يتجاوزه» (أى ١٤: ٥). كما قال داود النبي «في يدك آجالى» (مز ٣١: ١٥).

أما ما بين هذين اليومين، فهما في نطاق حرية الإنسان وإرادته ليصنع ما يشاء ويكتب بيديه أعماله التي تحكم في النهاية على مصيره بعد الرحيل. فالإنسان في الطفولة صفحة ناصعة للآبوين والمربين أن

الروح» (مت ٢٧: ٥٠، مر ١٥: ٣٧، لو ٢٣: ٤٦، يو ١٩: ٣٠) بينما لم ينفصل لاهوته عن جسده ولا عن نفسه - بقى أن تعرف أن الأرض تستلم الجسد بواسطة الناس سكان الأرض، بينما تستلم الروح الملائكة كقول الرب «والحصادون هم الملائكة» (مت ١٣: ٢٩). الذين يرسلون من قبل الله لمرافقة الروح إلى مستقرها الأخير. في الموت يدخل الناس البيت ليجاملون أو يعزون... ومن مجاملاتهم تشغل الديون، ومن عزائهم تكثر الجراحات... لذلك قال أيوب البار لأصحابه وقت بليته «معزون متعبون كلكم» (أى ١٦: ٢)!

أما دخول الملائكة البيت في موت الإنسان فهوز يارة نعمة وبركة... زيارة سماوية تنقل إلى الأفضل... وللأسف فإن إستقبالنا لملائكة الموت دائماً مخزى بالعويل والصراخ والأنين... ياليتنا يا عزيزى نستقبلهم بالتسبيح والترانيم والشكر...

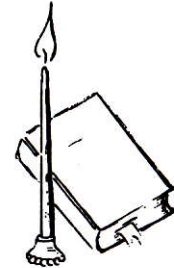


أشكر



يكتبوا عليها ما أرادوا ليجعلوا من هذا الطين اللين جيل المستقبل البار والشرير. وللإنسان في شبابه وكل مراحل حياته إرادة أن يغير السلوك الخاطيء أو التوجيه المنحرف الذي وقع فريسة له بكل قدرته وطاقاته حتى يختار لنفسه العمل الذي يرضى عليه والذي بواسطته يقع في نطاق رضا الله أو غضبه .

أما ما يجده الإنسان من وصايا إلهية ، أو مبادئ إنجيلية سامية ، فهي ليست قيداً على حريته أو تسليطاً على إرادته ... إنما هي للعقل مضباح ينير ظلام الفكر والعاطفة ثم الجسد . نعم إن وصايا يسوع لا تحرم الإنسان حرية إرادته إنما هي سياج يسيج حوله يحفظه من تيه العقل وضلال الافكار ونكبات العاطفة ثم أمراض الجسد وعمله ... التي لا بد أن تصيب الإنسان الغير الخاضع للوصايا المقدسة ، والتي بسببها يعيش الإنسان لا عمراً ناقصاً بل عمره كاملاً وإنما محروماً من إستنارة العقل وإتزان العاطفة وسلامة الجسد وصحته .



ليس الإيمان هو أن تصدق ما لا يرى فقط بل وأن تقبل من الله كل شيء ولسانك ينطق « أشكرك يارب » .

فالشكر في كل شيء ، وكل حين هودلالة على صدق الإيمان : تصديق الله في كل وصاياه ، وفي كل عطاياه لاسيما التي لا تتفق مع هوى الإنسان ورغباته .

هذا الشكر هو علامة تكريس القلب الحقيقي ، أى تخصيص الأفكار والعواطف والضمير لله الذي أوصى « تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قدرتك ومن كل فكرك » (لوقا : ١٠ : ٢٧) .

هذا الشكر يتحقق بثلاث تداريب مترابطة : الأول رفض العالم ، الذي قال الكتاب عنه « محبة العالم عداوة لله » . أى رفض مبادئه ، وأساليبه ، ومراكزه ، وشهوته ، وخدامه وتابعيه . لا رفضاً

شكلياً مؤقتاً لا يلبث أن يزول تحت مؤثراته ، بل رفضاً نابعاً من محبة المسيح وصدق رؤية السماء والتحقق من وجودها .

أما التدريب الثانى لتحقيق الشكر فهو اليقين بترابية العالم . فكل سكان العالم من تراب خلقوا وإلى التراب يعودوا ، يأكلون من التراب لترجع نفاياتهم إلى التراب ، يلبسون تراب ، يسكنون في مساكن تراب يرتفعون بها فوق التراب لتهى ثانية تراب ... سلطانهم تراب يدفن معهم ، كراماتهم من تراب لذلك قيل « الإنسان في كرامة لا يبيت » ...

والتدريب الثالث لتحقيق الشكر فهو عمل كل شىء من أجل يسوع ، وبيسوع ... آكل وأشرب لأجده ، أنام لأجله ، أستيقظ وأنا معه لأمارس أعمالى اليومية البسيطة لا كمن يرضى الناس بالعين بل كمن يدرك عين الله الساهرة التى تراقبه حتى فى الخفاء فيأخذ مجازاته من العادل وحده . ومهما كانت نتائج العمل رابحة أو خاسرة فظالما أن العمل ليسوع وبيسوع فأرباحة أو خسائره تكون ليسوع أيضاً أما أنا فأظل أناديه « أشكرك يارب » .



كل الحياة



كل أيام الإنسان على الأرض - قصرت أو طالت - هى بعض الحياة بل هى مقدمة للحياة فقط ، وعندما يمر الإنسان من باب الموت لا ينتهى بل ينهى المقدمة لكى يدخل إلى موضع الحياة أى الأبدية . فكثيرين ممن نعرفهم عن قرب جسدياً عندما إقتربوا من باب الموت صاحوا أمامنا وفى حضورنا : « أنا ذاهب للدار البيضاء » ... « إفتحوا الباب ... أولاد يوسف فى مدارس الأحد حاضرين ولا بسين شمامسة » ... « أنا شايف أبونا ميخائيل ومعاه قسوس آخرين فى الصلاة الآن » .

... إلى غير هذه التعابير التى تؤكد أنهم ذاهبون للحياة عينها ، وأنا بأفخر أيامنا على الأرض لا نعيش إلا الظل فقط ... لا ننكر أن الظل منعش ولذيذ ، ولكنه لا يحمل حلاوة ثمرة أو شفاء ورقة ... حقاً الحياة هنا حلوة ، ولكن الحياة هناك أحلى ...



١٤ الإله الذي يعوض

ماذا فقدت يا عزيزى ؟ هل فقدت إنساناً عزيزاً ، أو مالا
عرفت في كسبه سنياً ، أو مركزاً جاهدت حتى بلغت ، أو زرعاً
بالدموع بذرت بذاره ، أو بيتاً حملت على كتفك كل طوبة فيه ، أو
صحة رغم حذرك وحرصك ، أو حرية رغم شرفك وأمانتك ... ماذا
فقدت ؟ ...

مهما يكون فقدك يا عزيزى فأرجوك أن تتذكر في الحال ثلاث
أمور : الأول أن لك إله في السماء حتى وموجود قوى ومعين قال
« أعوض لكم عن السنين التي أكلها الجراد ... فتأكلون أكلاً
وتشبعون وتسبحون إسم الرب إلهكم الذي صنع معكم عجبا ولا
يخزي شعبي إلى الأبد » (يونس ٢ : ٢٥ ، ٢٦) . إنه صادق أن يعوض
لك ، وليس أى عوض بل عوض الشيع بأسلوب غير مألوف معجزى
عجيب ... نعم يا أختي لك هذا الإله العظيم بل معك وأنت تمر معاناة
الفقْد . أنتظر وعده ، وأدعو إسمه بالتسبيح والصلاة لأن « كل من
بدعو بإسم الرب ينجو » .

ثم ظهورات رجال الله القديسين على مر العصور ، كظهور صموئيل
النبي بعد وفاته وظهور مار بولس الرسول لتلميذته تكلا بعد قطع رأسه
لتطبيب خاطرها ، وظهورات أمنا الطاهرة العذراء مريم لاسيا في كنيسة
الزيتون ... غير ظهور الأنبا إبرام أسقف الفيوم والجيزة بعد نياحته
لكثيرين أحدهم ضعفى ، وظهور أخوة مؤمنين راحلين لأولادهم
وأسرهم بعد نياحتهم ... هذه الظهورات المتكررة تحمل إلينا صدق
إيماننا بأننا نعيش هنا مقدمة الحياة فقط وهؤلاء هم الذين يعيشون
الحياة كلها ...

وكما يقول المثل : الكتاب من مقدمته ، والخطاب من عنوانه ...
فكثيرون يضيعون عمرهم في كتابة مقدمة الحياة باللهو والإنغماس في
الشهوة والسعى الدؤوب نحو الغنى ومحاولة إقتناص الجاه والسلطان ...
وإذ بهذا كله في نهاية هذه المقدمة يأخذون قبضة ريع في أيديهم التي
حالمأ تفتح بالموت لا يجدون إلا النهاية المؤسفة : أضاعوا عمرهم في لا
شئ ... هؤلاء من هنا يقرأ في سلوكهم : « الحياة لا ترضى
بالتوافق » ...

أما القديس أغسطينوس فقد قرأ العالم مقدمة حياته « جلست
فوق قة العالم حينما صرت لا أشتهى شيئاً ولا أملك شيئاً » . وأنت يا
عزيزى ماذا تكتب في مقدمة حياتك ؟

ولا تنسى أن هذا الإله هو أبوك « أنت يارب أبونا ، ولينا منذ الأبد إسمك » (أش ٦٣ : ١٦) . فإن كان فقدك بإرادته وسماحه فهو أبوك الحق ، وإن كان فقدك بسبب خطاياك وضلالك فتذكر أن ضلالك لا يلغى مسئوليته عنك وتولى أمرك سيتولى التعويض المناسب .

تذكر هذا ، ثم تعقل ، ولا تضيع الوقت في العويل والبكاء والعطف على الذات ... فعندما يجرح أصبعك لا تترك الدم ينزف لثلاث تفقد أكثر أو تتلوث وإنما بسرعة تعمل عملاً لتضمّد الجرح وتضمن سلامتك ... هكذا مهما كانت صورة الفقد في عينك قم أعمل عملاً بانياً جديداً وإن لم تكن لك قدرة على عمل أى شىء ، فعلى الأقل أعمل عمل حنة النبية في مرارة نفسها وهي واقفة قبالة الله ... أعمل عمل الصلاة ، وإبحث عن ذبيحة رحمة تؤديها ...

أخيراً يا أخى مهما كان فقدك هنا على الأرض فن الإنصاف أن ترجع ليوم مولدك حينما خرجت عر ياناً من بطن أمك وحيداً بلا حول ولا قدرة حتى لإطعام نفسك أو تغيير ثيابك لكنك الآن تملك على الأقل إرادة تحول معاناة فقدك إلى سعى جديد وعطاء جديد ورجاء جديد .

أتذكر يوماً سرت فيه مفلساً ، أن الله قادنى لزيارة شاب عمره خمس وعشرين سنة يعانى من فشل كلوى و يضطر إلى عمل غسيل إسبوعى يكلفه أسبوعياً تسعون جنيهاً ... أى ما يقرب من خمسة آلاف جنيه سنوياً ... فقلت لنفسى أشكرك يارب على إفلاسى ، لأنك جعلت فى داخلى كلى سليمة تذكرنى أنه لو كان عمرى فى عمر هذا الشاب فقط (الذى يعانى من هذا الفشل منذ طفولته) لكنت أنا الإنسان الذى يحمل فى جيبه ١٥٠,٠٠٠ جنيه !

هذا عدا باقى أجهزة أعضائى ، فالكبوتر الذى فى رأسى لا يقل بالحساب البشرى عن مليون جنيه والكاميرات التى فى عيني كم تساوى ؟ وأجهزة الكهرباء والتنقية التى أحملها من يد الله الغنى فى جسدى جعلتني أخرج من زيارة هذا الأخ وأنا أقول لنفسى فى إفلاسى : أنت بنك غنى ، تحمل صورة ابن ملك غنى !

وإذا لم تفلح مع نفسك بهذه الأمور الثلاثة لمواجهة نفسك فى حالات الفقد التى تمر بها ، فتذكر أخيراً أنك ستخرج عر ياناً من هذه الدنيا كما خرج كل إنسان دخلها ... وحتى الذى لم تفقده للآن سوف تفقده أيضاً ...

فى ميلادك دخلت الدنيا عر يانا ، وفى رحيلك ستخرج من الدنيا

عرياناً ... مثلك مثل ثعلب وجد في جدار كرم ثقباً صغيراً فدخل منه
إذ كان جسده يسمح بالمرور خلاله ، ولما دخل الكرم وجد مشتاه
فأكل وأكل حتى شبع وسمن ... ولما أراد الخروج وجد جسده لا يتفق
مع حجم الثقب . فصام حتى رجع جسمه للحجم الذي يسمح له
بالخروج مرة أخرى ... إنني أرى فقدك لم يكن سوى صوم ... هل تراني
عاقلاً وأنا أشد على يدك وأهنئك لما فقدت منك ، فأنت ترجع إلى
عريسك الأول لكي تخرج مباركاً من هذه الدنيا ومستقبلاً من الله
وقديسيه في أهداره السماوية بكل مشتاهها ... أقولها بكل إصرار:
مبروك ما فقدت منك ...



إله الذي
يعوض لنا
(يوحنا ٢: ٢٥)



إن كانت الحياة هنا حلوة ،

لكن الحياة هناك أحلى .

والحياة هنا رسالة ،

لكن الحياة هناك كمال الرسالة ..

والحياة هنا زراعة دموع ،

لكن الحياة هناك حصاد إبتهاج ..